ناحية استعمال القوة العسكرية العربية ، لا ينبغي ان نقلل ابدا من اهمية ما حدث خلال اول اسبوعين من الحرب وما يحدث الآن . فبعد تحطيم اسطورة الجيش الاسرائيلي الذي لا يقهر ونسف آمال الانتصارات الاسرائيلية الساحقة ، وبشكل يبدو معه وكأن لا نهاية لهذه الحرب ، جاء الان دور مرحلة القلق داخل اسرائيل ، ومن الضروري والمفيد جدا العمل لاستمرار هذه الحالة ولاطول وقت ممكن . من الضروري جدا ان يبقى معظم رجال اسرائيل مجندين في الجيش ، كما هي الحال الان ، وان يبقى سكان اسرائيل قلقين على مصير ابنائهم وازواجهم وبناتهم ، وان تستمر الاذاعة الاسرائيلية في بث تحيات الاقارب القلقين الى ذويهم في جبهات القتال ، وان يبقى معظم المصانع الاسرائيلية والمرافق العامة وكثير من المصالح الخاصة معطلا ، وان يستمر تدهور الاقتصاد الاسرائيلي وارتفاع الاسعار — وهو ما يحدث الان داخل اسرائيل . ان مثل هذه الضغوط كفيلة باحداث شرخ عميق في النفسية الاسرائيلية وبالتالي تحطيم الغرور الاسرائيلي ، وهو ما ينبغي عمله قبل اي شيء اخر ، لاعادة الاسرائيليين الى عالم الواقع ، واقع الامكانات العربية الضخمة في الرجال والمال والسلاح ، ليسهل « التحدث » اليهم . ولا حاجة ، في سبيل هذا ، الى تحرير مساحات من الاراضي المحتلة بالذات او التوغل عميقا في تلك الاراضي ، اذ تكفي حالة من الكر والفر والتعامل بالنار مع العدو لتصعيد حالة القلق ، التي تسود جبهته الداخلية ، الى وضع لن يستطيع الصمود فيه كثيرا ، فيجد نفسه مرغما على التفتيش عن ظروف تساعده على الخروج من ورطته .

والسؤال الذي يطرح نفسه الان هو هل تتعلم العسكرية الاسرائيلية شيئا من هذه الدروس ؟ تثبت التجربة ان اسرائيل لا تنسى عادة الدروس التي تلقن لها ، اذا ما احسن التلقين ، وفي الحالات القليلة التي تم فيها ذلك ، لوحظت النتائج الايجابية بسرعة . ومرة اخرى نكتفي بسرد بعض الامثلة : فالعمليات الاسرائيلية الانتقامية التي كانت تشن على الدول العربية توقفت ، سنة ١٩٥٦ ، بعد ثلاثة اعوام من ممارستها ، وبعد ان راح الجيش الاردني ، الذي استوعب « التقاليد » الاسرائيلية عند تنفيذ تلك العمليات — وكما يقول ديان صراحة — يوقع في القوات الاسرائيلية المهاجمة خسائر فادحة في الارواح . كذلك فقد ادت حرب الاستنزاف ، التي شنتها مصر على اسرائيل في جبهة قناة السويس ، خلال ١٩٦٨ — ١٩٧٠ ، الى حدوث تصدع في جدار القيادة الاسرائيلية ونشوب خلافات حادة بينهم حول السبل للوصول الى سلام مع العرب ، ولم تهدأ هذه الخلافات — وان كانت لم تختف — ولم يتصلب الموقف الاسرائيلي ويمعن في تصلبه الساخر من العرب الا بعد ايقاف حرب الاستنزاف . اما النشاط الفدائي المكثف ، خلال ١٩٦٧ — ١٩٧٠ ، والاضرار التي اوقعها باسرائيل فقد ادت ، لاول مرة منذ مطلع القرن الحالي وربما لاول مرة منذ نشوء الصهيونية ، الى « اقناع » عدد من الزعماء السياسيين وكثير من المفكرين الاسرائيليين « بوجود » شعب عربي فلسطيني ، ثم الدعوة الى الاعتراف بحقوقه او الوصول الى حل ما معه ، ولم تهدأ هذه الصيحات الا بعد النكسات التي مني بها النشاط الفدائي خلال ١٩٧٠ وما بعدها .

هناك ايضا احدى مضاعفات هذه الحرب التي ينبغي التوقف عندها ، الا وهي قضية الاسرى . ويستفاد من الاخبار المتوفرة ، حتى الآن ، ان هناك لدى الطرفين عددا من الاسرى . لقد اعتدنا حتى الان اتمام معاملات مبادلة الاسرى ، بفضل جهود الصليب الاحمر الدولي ، بسرية وبسرعة نسبيتين ، بحيث لا يسمع المرء بها الا بعد انهائها . وجرت العادة ان تكون اسرائيل هي السباقة الى الاتصال بالصليب الاحمر وتزويده بقوائم اسماء الاسرى الموجودين لديها وابداء استعدادها للفوري لمبادلتهم ، مهما قل عدد اسراها لدى العرب ، وتصرفت اسرائيل على هذا النحو ايضا خلال هذه الحرب ،